



يوم كان الشيخ القلموني نصيراً للبلاشفة رشيد رضا: «إن صوت الشعب هو صوت الله»



(وسلام متح)

وهجرة الكثير من الشباب والكفاءات وبخاصة من أبناء الأقلية الروسية. فعوض الغرب وحلفاؤه الجمهورية المسلمة تلك، بـ«نعمة» الإسلام الوهابي الذي ظل ممنوعاً في هذه البلاد طوال الحقبة السوفياتية، الأمر الذي يندرج بمستقبل ملوّه الدم وسمته خراب.

الفرق بين الجمهوريات المسلمة التي حكمت من قبل البلاشفة، وبين تلك النظم الإسلامية بما فيها بلادنا التي وقعت تحت النفوذ الأميركي، شاسع. لناخذ مثلاً أقطار الجزيرة العربية ومصر وباكستان ونيجيريا، حتى دول كالعراق وسوريا والكثير غيرها، ممن عانوا بشكل مدمر من وباء الوهابية ومشتقاتها. ظل الكثير من أبناء هذه البلاد فقراء عموماً، تتبدى في مجتمعاتهم نسبة صادمة من الجهل والتخلف الحضاري.

فأنت إن زرت قرية باكستانية أو نيجيرية تخضع لهذه النظم الفاسدة التابعة للغرب لشاهدت على الأرجح شعباً بائساً يعاني من البطالة، محروماً من خدمات التعليم والرعاية الصحية، تهدده الحروب الأهلية من كل جانب، وتجنر فيه قيم اجتماعية والسلطات تنفسي الأمية وتنعدم المكتبات والمسارح والفعاليات الفنية، فيما تقبع تحت هيمنة واضحة لا لبس فيها لأتعس نماذج التدين الشعبي والمجلوب من الخارج.

في المقلب الآخر حول الاتحاد السوفياتي القرى الآسيوية المتخلفة في الجمهوريات السوفياتية المسلمة منذ الثلاثينات لمواقع حديثة،

تحوي تعليماً وطبياً مجانية، تنتشر فيها ايدولوجية تقدمية تزرع في الفرد أخوية البشر وتساويه بالآخر، وتبعده عن أشكال كره الآخر للونه، دينه، مذهبه أو قوميته. المسلمون السوفيات إن جاز لنا التعبير هنا نالوا خير فرص التعليم والتقدم، بعد أن بذرت وبنّت موسكو في جمهورياتهم مشاريع صناعية وقضائية ونووية ومراكز علمية، ومكّنت أبناء الرعاة والفلاحين الأميين من أن يصبحوا علماء فيزياء وأطباء وأساتذة جامعات.

لفهم ذلك بشكل أفضل بالأرقام نلاحظ أن الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفياتي كانت زراعية الطابع بشكل مطلق عام 1928، فيما حققت بحلول 1989 الكثير من الخطوات المتقدمة في طريقها نحو التصنيع، ولكن ما حسن بشكل حاسم المستوى المعيشي للناس هو نجاعة سياسة الاقتصاد المخطط وإلغاء الملكية الفردية. فارتفع معدل المدخول في تلك الجمهوريات لقرابة 5257 \$ بالقيمة الشرائية في سنة 1989، أي 32% أكثر من جارتهم تركيا المستقلة التي تتبع النموذج الرأسمالي و44% أكثر من إيران التي تتبع أيضاً اقتصاد السوق، و241% أكثر من باكستان التي تتبع ذات النموذج الاقتصادي الغربي، ومع فارق في عدالة التوزيع الاجتماعي بالطبع.

ما العمل؟

بالعودة إلى جيل والدي الذي لم يكن الكثير من أبنائه مؤمناً عملياً بالدين ولا معولاً جدياً على نجاعة وفاعلية الحركات الإسلامية، يمكننا أن نقول بصوت عال إن هزيمة الغرب ودرحر هيمنته على مقدرات ومصير شعوبنا تأتي في المقام الأول هنا، الأمر الذي نلتقي في خندقه مع إخواننا الإسلاميين المقاومين. فيما نأمل أن يجمعنا يوم مقبل في معركة اقتلاع الفساد وبناء مجتمع عادل لا يذل فيه فقير ولا يجوع فيه صغير.

*باحث عراقي

الجريدة أن الشيوعية منحتمهم الأمان والتقدم. تقول كلزات كان العمال يحصلون على عمل وبيوت مجانية وتقاعد مضمون ورعاية صحية ممتازة. تضيف أن المواطن السوفياتي كان إذا ما عمل بشكل جدي ومثابر، يُكافئ بالمحضلة بامتيازات إضافية كبيت ريفي لقضاء العطل أو ما يسمى بالروسية «داتشا» (Daily Mail 30 June 2017). وتشير كلزات بحسرة إلى كيف أن الشباب اليوم ممن لم يلحقوا أن يعيشوا هذا الزمن الدافئ، يمزجون على بقايا منشآت لمنتجعات سوفياتية ضخمة لحمامات وملاعب رياضية واستراحات بمناطق ريفية. كل ذلك كان متوفراً بأسعار رمزية بمتناول يد كل المواطنين، كما كان من حق الجميع التمتع به والتردد عليه. علينا أن ندرك أيضاً أن الاتحاد السوفياتي كان قد قرر ومنذ الستينيات إعطاء مواطنيه الحق بأخذ إجازات مدفوعة الأجر لقرابة شهر في مثل هذه المنتجعات السياحية المدعومة حكومياً (Gowen: Dec 2012).

لاحظوا هنا أن كلزات تتحدث عن البقايا العظيمة للاتحاد السوفياتي، كمن يتحدث عن بقايا أو ابد رومانية أو مصرية فخمة لتاريخ غابر وعضر ذهبي مضى. عند سؤالها عن أي تقدم إيجابي جرى في حياتها بعد انهيار الشيوعية ببلدها، تجيب كلزات بسخرية مشيرة إلى تنوع جديد طرأ على مستوى الطعام، فالיום يمكن لها تذوق صلصات آسيوية جديدة!

خسرت قرغيزستان إثر انهيار الاتحاد الكثير من خيرة أبنائها من ذوي التعليم العالي والمهارات الفنية، كنتيجة لغلق المصانع

حدث التفوق الاقتصادي
السوفياتي بالرغم
من سيطرة الغرب
على ثلاثة أرباع
الكوكب (أ ف ب)

والأموال والأعراض؟ الشيخ رشيد رضا: «إن الذي من مجموع ما اطلعنا عليه في البلشفية أنها عين الاشتراكية، والمقصود منها إزالة سلطان أرباب الأموال الطامعين، وأعوانهم من الحكام المناصرين لهم، والذين وضعوا قوانينهم المادية على قواعد هضم حقوق العمال في بلادهم، واستعمار بلاد المستضعفين من غيرهم. وإن المراد منها هو أن يكون الحكم الحقيقي في كل شعب للأكثرية من أهله، وهم العمال في الصناعة والزراعة، بعد إسقاط سلطة أرباب الثراء والكبراء المشايخين لهم. وهذا ما فعلوه في روسيا دولة القيصرية الظلمة».

«الأخبار»: ما هو موقف الشرع الإسلامي من البلاشفة؟

رشيد رضا: «إن المسلمين يتمنون نجاح الاشتراكيين نجاحاً يزول معه استعباد الشعوب. وكلهم من العمال.

وإن كانوا يتكرونها عليهم كما يتكرون على غيرهم ما يخالف الشرع. على أنهم غير مطالبين عندنا بفروع الشريعة، ما داموا غير مسلمين، وأود أن أستهجد هنا بمقال في صحيفة «سوريا المتحدة» التي تصدر في المكسيك،

وتقول: إن صوت الشعب هو صوت الله، أعني أن الأكثرية متى أرادت الحصول على حاجة ضرورية لها، أخذتها عنوة واقتداراً، لأن الأكثرية هي الحقيقة، والحقيقة هي القوة التي لا تقاوم».

«الأخبار»: من هم الاشتراكيون يا شيخنا؟

رشيد رضا: «لا يعجب القارئ إذا قلنا له إن 99 في المئة من سكان الكرة الأرضية هم من الاشتراكيين أو البلشفيين. هؤلاء هم الشعب الذي نقول الأمثال هم صوت الله. وهذا الشعب هو الذي يقبل الحكام ويسقط الملوك. نعم لا يستطيع إنشاء حكومات شعبية إلا أن تتبعر ثروة الأغنياء، وذلك لمقاومتهم ومناواتهم لمطالب الشعب العادلة، فيضطر هذا إلى أخذها بالقوة والإرغام، فيتضرر الأغنياء في كل أقطاب المسكونة، لكن الشعب ينتفع بذلك، بل إن طمعهم بإبقاء سيطرتهم المطلقة ينتج لهم هذه النتيجة».

القوات البريطانية: «هناك ميل عام يقول إن البلاشفة سيأتون إلى مصر لأخذها، وسيكون حسناً لمصر أن يفعلوا ذلك. عندها إذا ما احتاج إنسان فقير إلى المال، فإنه سيأخذ من الغني، ويبدو أن أخبار نجاح أو انتصارات البلاشفة كانت تثير موجة من الفرح والسعادة بين كل الطبقات المصرية التي دانت فتوى المفتي الأكبر ضد البلشفية، إذ تعتبر المنتهين إلى هذه القضية محاربين من أجل الحرية».

ولم ينتظر البلاشفة الروس روزنتال، أصلاً، لتصدير الثورة إلى مصر، والعالم العربي. يقول حنا بطاطو إن ممثلين عن حزب الوفد فاوضوا البلاشفة في باريس على دعمهم بالسلاح والمال.

ويروي تقرير للمخابرات البريطانية، ناقلاً عن حافظ عفيفي موفد زغلول إلى البلاشفة: «لم نلتزم إدخال البلشفية

في مصر، بل إننا كنا نأمل أن نتمكن من إخراجها من مصر، كما فعلنا في سوريا».

ويروي تقرير للمخابرات البريطانية، ناقلاً عن حافظ عفيفي موفد زغلول إلى البلاشفة: «لم نلتزم إدخال البلشفية

في مصر، بل إننا كنا نأمل أن نتمكن من إخراجها من مصر، كما فعلنا في سوريا».

ويروي تقرير للمخابرات البريطانية، ناقلاً عن حافظ عفيفي موفد زغلول إلى البلاشفة: «لم نلتزم إدخال البلشفية

في مصر، بل إننا كنا نأمل أن نتمكن من إخراجها من مصر، كما فعلنا في سوريا».

ويروي تقرير للمخابرات البريطانية، ناقلاً عن حافظ عفيفي موفد زغلول إلى البلاشفة: «لم نلتزم إدخال البلشفية

في مصر، بل إننا كنا نأمل أن نتمكن من إخراجها من مصر، كما فعلنا في سوريا».

ويروي تقرير للمخابرات البريطانية، ناقلاً عن حافظ عفيفي موفد زغلول إلى البلاشفة: «لم نلتزم إدخال البلشفية

في مصر، بل إننا كنا نأمل أن نتمكن من إخراجها من مصر، كما فعلنا في سوريا».

ويروي تقرير للمخابرات البريطانية، ناقلاً عن حافظ عفيفي موفد زغلول إلى البلاشفة: «لم نلتزم إدخال البلشفية

في مصر، بل إننا كنا نأمل أن نتمكن من إخراجها من مصر، كما فعلنا في سوريا».

ويروي تقرير للمخابرات البريطانية، ناقلاً عن حافظ عفيفي موفد زغلول إلى البلاشفة: «لم نلتزم إدخال البلشفية

في مصر، بل إننا كنا نأمل أن نتمكن من إخراجها من مصر، كما فعلنا في سوريا».

ويروي تقرير للمخابرات البريطانية، ناقلاً عن حافظ عفيفي موفد زغلول إلى البلاشفة: «لم نلتزم إدخال البلشفية

في مصر، بل إننا كنا نأمل أن نتمكن من إخراجها من مصر، كما فعلنا في سوريا».

ويروي تقرير للمخابرات البريطانية، ناقلاً عن حافظ عفيفي موفد زغلول إلى البلاشفة: «لم نلتزم إدخال البلشفية

في مصر، بل إننا كنا نأمل أن نتمكن من إخراجها من مصر، كما فعلنا في سوريا».

ويروي تقرير للمخابرات البريطانية، ناقلاً عن حافظ عفيفي موفد زغلول إلى البلاشفة: «لم نلتزم إدخال البلشفية

في مصر، بل إننا كنا نأمل أن نتمكن من إخراجها من مصر، كما فعلنا في سوريا».

ويروي تقرير للمخابرات البريطانية، ناقلاً عن حافظ عفيفي موفد زغلول إلى البلاشفة: «لم نلتزم إدخال البلشفية

في مصر، بل إننا كنا نأمل أن نتمكن من إخراجها من مصر، كما فعلنا في سوريا».

ويروي تقرير للمخابرات البريطانية، ناقلاً عن حافظ عفيفي موفد زغلول إلى البلاشفة: «لم نلتزم إدخال البلشفية

في مصر، بل إننا كنا نأمل أن نتمكن من إخراجها من مصر، كما فعلنا في سوريا».

ويروي تقرير للمخابرات البريطانية، ناقلاً عن حافظ عفيفي موفد زغلول إلى البلاشفة: «لم نلتزم إدخال البلشفية

في مصر، بل إننا كنا نأمل أن نتمكن من إخراجها من مصر، كما فعلنا في سوريا».

ويروي تقرير للمخابرات البريطانية، ناقلاً عن حافظ عفيفي موفد زغلول إلى البلاشفة: «لم نلتزم إدخال البلشفية

في مصر، بل إننا كنا نأمل أن نتمكن من إخراجها من مصر، كما فعلنا في سوريا».

ويروي تقرير للمخابرات البريطانية، ناقلاً عن حافظ عفيفي موفد زغلول إلى البلاشفة: «لم نلتزم إدخال البلشفية

في مصر، بل إننا كنا نأمل أن نتمكن من إخراجها من مصر، كما فعلنا في سوريا».

ويروي تقرير للمخابرات البريطانية، ناقلاً عن حافظ عفيفي موفد زغلول إلى البلاشفة: «لم نلتزم إدخال البلشفية

في مصر، بل إننا كنا نأمل أن نتمكن من إخراجها من مصر، كما فعلنا في سوريا».

محمد بلوط

لا أحد يعرف ما الذي دها صاحب «المنار»، رشيد رضا كي ينتصر للبلشفية، وعبرها لجوزيف روزنتال، اليهودي الروسي الإسكندراني، وداعي البلشفية في مصر. لم يكن لأحد أن يتخبا عام 1920 أن الشيخ الإصلاح، وتلميذ شيخ الأزهر محمد عبده، سيناطح أول الأزهرين المفتي محمد بخيت لإدائته البلاشفة وأكتوبر، ويفتح «المنار»، أشهر منابر الإصلاح الإسلامي في مطلع القرن الماضي، مخصصاً صفحات للدفاع عنها في وجه الظالمين.

ويروي المؤرخ الفلسطيني الراحل حنا بطاطو، في مؤلفه «الحزب الشيوعي العراقي»، أن مخابرات رئاسة الأركان البريطانية في مصر، عبر الضابط بيمان، هي التي أوحت للشيخ بخيت بفتواه. وذلك بعدما تعاضت «نقابات العمال» و«الحزب الاشتراكي المصري» التي أطلقها الصائغ الإسكندراني روزنتال وصحبه، من يونانيين ويهود روس وشوام مهاجرين، إضافة إلى «جماعة الدراسات الاجتماعية»، والنادي الخاص بشيوعي الإسكندرية. فتلقت المدينة، لولا روزنتال والآخرين، لم تكن لتدخل في عداد بواكير العدوى البلشفية في مصر، لاقتصارها على تجار ومفكرين يونانيين في الثغر المصري.

لم يكن الجحيم بلشفيًا بعد في الشرق العربي، وما كان الإسلام العربي أفيوناً ينهي عن الثورة في سيرة الماركسية العربية الأولى. الشيخ رضا الذي كان يتأهب ليصير سلفياً، كما يورد بطاطو، كان محامي البلشفية الوافدة. انتقد الفتوى الأزهرية في مطالعته جلسائه على ما أورده تقرير «العميل يوسف» لعامل الرملة البريطاني، من أنه «لم يكن أحد ليعرف عن البلشفية هذا القدر الذي نعرفه، قبل فتوى الشيخ بخيت».

لم تكن مواقف رشيد رضا خروجاً عن مألوف ما بعد الحرب العالمية الأولى في مصر، وما عاناه أهلها. يقول تقرير قائد الشرطة في القاهرة إلى أركان

